

# المرأة في القرآن الكريم ودروس في التربية.

الأستاذة شفيقة وعيل  
باحثة أكاديمية في لغة القرآن الكريم

"صوتها عورة" وأحيانا أخرى "يقبل معها شيطان ويدبر معها شيطان" أو "الفتنة توقدها امرأة في خدرها"، كيف يكون هذا الدين ردا لها اعتبارها ومحي لها من الوأد؟ ويتوجه سيدة التربية وصاحبة القول الفصل في بناء الأمة؟

إشكال يحمل وزره أجيال من المسلمين بالتأويل الخاطئ مرات، والمفتعل مرات أخرى للنصوص، والدين منه براء، وقد يتسنى لنا في هذه المقالة أن نبين خطأ هذه الفكرة بالمثل المضاد من ديننا وأساس من النص الصريح الذي لا يقبل التبديل والتغيير.

**لمحة:** مخاطبة القرآن لذكاء المرأة:

من الشجرة المسمومة عند الإغريق إلى جسد بلا روح عند الرومان إلى "الفو" أو نظرية الخضوع عند الصينيين إلى سوء آخر من سم الأفاعي عند الهنود إلى اللعنة عند اليهود إلى عار لا بد من وأده عند عرب الجاهلية، كلها مسميات وأوصاف لكائن لم يزل يسيل الكثير من الحبر في الفكر قديما وحديثا... ذلك اللغز الذي احتاجت النظرية الذكورية كل وجودها على هذه الأرض لمحاربته تحت مسميات كثيرة أهمها الدين والأعراف، وحين نقول إن الإسلام جاء ليزيل عن المرأة غبار الظلم نتساءل مرة أخرى: كيف يزيل عنها غبار الظلم ويقول عنها أحيانا "ناقصات دين وعقل" وأحيانا

إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا  
صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ  
الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ  
كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿النساء: 128﴾،

نلاحظ أن الله تعالى حدد للرجل خطواته  
خطوة خطوة في معالجة نشوز المرأة  
عبر ترتيب أولوي بينها بما يشبه  
البرمجة الآلية في نظام الكمبيوتر  
اليوم، ولم يترك له حرية المبادرة بينما  
ترك الأمر مفتوحا للمرأة بالمفعول  
المطلق "صلحا"، أليس في هذا دلالة  
كافية على مخاطبة القرآن لعقل المرأة  
بشكل متميز وبأهلية اجتماعية كافية  
لتحولها مقاليد القيادة الاجتماعية  
التي تنطلق من رسالة التربية، ولنا  
أن نتساءل لماذا؟ هل لأن نشوز المرأة  
قابل للإصلاح ونشوز الرجل ليس  
كذلك؟ أم لأن المرأة أقدر على معالجة  
نشوز زوجها بمصالحته على النفقة أو  
المفارقة أو غير ذلك...؟ أتوقع أن المرأة  
يجب أن تفهم ريادتها من هنا.

في نظري كانت هذه الريادة مقبولة  
في شخصيات نسوية قرآنية وردت  
ومضاتها في كتاب الله لا تحتاج منا  
مجرد سرد بقدر ما تحتاج وقوفا ثابتا

ما زلت وأنا أمر أمام بعض الأفكار  
البالية التي تناقلتها الأجيال وتعيش  
في سواد الثقافات المتراكمة من قماعات  
الحضارات البائدة ما زلت أقف مشدوهة  
ليس أمام الاقتناع بهاته الأفكار ولكن  
بالتحام المرأة بعجزها الذي اقتنعت به  
تحت مسميات كثيرة منها مسمى الدين...  
وهنا أن أن نفتح قوسا كبيرا للتدليل  
على فكرة كثيرا ما تلقي في ضميري  
انبهارا ما قدمه الإسلام لهاته المرأة  
والذي اعتبره أساس دروسها التربوية  
التي يجب عليها أن تقتنصها من نصها  
وتفهمها من أصلها دون المرور عبر  
مصفاة الفكر الذكوري المتعجرف في  
كثير من حالاته تجاهها.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ  
نُشُوزَهُمْ فَعَطَوْهُمْ وَأَهْجَرُوهُمْ فِي  
الْمُضَاجِعِ وَأَصْرُهُمْ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا  
تَبْغُوا عَلَيْهِنَ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا  
كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا  
فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ  
أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا  
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿النساء: 34-35﴾  
ولما كان الخطاب للنساء قال تعالى:  
﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ

- تملك وهي الملكة التي ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ النمل: 23 القدرة على الاستماع إلى الآخر وقبول قوله ولو كان رأيا مخالفا، وهي صفة قيادية قلما تتاح للرجال ناهيك عن النساء قال تعالى على لسانها ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ النمل: 29.

- بل وفوق الاستماع هي تكريم هذا الكتاب بالوصف في بلاطها مع أنه بالمعنى المعاصر يعتبر كتاب تهديد... فما كان الغرض من هذا؟ ترى لو كان رجلا هل كان سيأخذ الأمر بنفس المطلق؟ هل يقول رجل عن كتاب تهديد: "إنه كتاب كريم" لو لا أنها امرأة ذات حكمة تعطي في صورتها درسا للقيادة والريادة، فهي تقدر الكتاب وتقول عنه جليل المقدار من شخص عظيم الشأن فربطت شأن الكتاب بشأن مرسله حتى تناقشه مع ملئها... موضحة أن المرسل لا ينطلق بالتهديد من عدم، كأنها تلمح إلى أن الأمر جلل وليس مجرد رغبة ملوكية في التغطرس والتجبر.

- تشاور قومها في الرأي ولا تنفرد عنهم بقضاء: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِ فِي

على قدم التدبر، وقد اقتصرت في تحليلي هذا على شخصيات محددة لما رأيته من فاعليتها إلى جانب الرسائل السماوية بشكل مباشر، كنماذج تربوية للترفع عن اجتهدات الرجال وأعرافهم إلى علياء كلام الله في مسيرة الوجود بعيدا عن دعاوى سلبية تدعوها إلى التدني إثر فيروس الخوف عليها ومنها بمسمى الشرف، قالت أ. هبة رؤوف عزت -وهي باحثة إسلامية في قضايا المرأة والفكر الإسلامي-: "حفاظا على عفة النساء الأمة كلها شرفها وهي تترشح تحت وطأة الاستبداد والاستعمار لأن اللواتي يبين نساءها ورجالها لأمهات جاهلات".

**ولنأخذ هذه النماذج من كتاب الله مع ما أعطتناه من دروس تربوية في صنع الريادة:**

**النموذج الأول: بلقيس.... دروس الريادة: الحكمة والكبرياء:**

زعيمة بكل معنى الكلمة لم يكن في أنوثتها مثبط عن إدراك مسؤوليتها وقيامها بها على وجه يعجز الرجال عن القيام فهي:

## ملف الصد

عبارتان بسيطتان قالت الأولى عند معاينتها لعرشها "كأنه هو"، وما تنم عليه من حيطة وحذر إلى أن تثبت من أمرها، أتوقع أنها لو قالت "إنه هو" لكانت وقعت في موقف الضعف والاستسلام بقوة، عند أول بينة، قبل أن تثبت من عرشها الفريد في وقته، لكنها ظلت محافظة على ثباتها ولم تجعل الشك الذي خامر عقلها في صحة ما دعيت إليه يضعف موقفها حتى تتأكد مما هي منه في شك، ثم نراها بكبرياء تعترف بالحق إذ تيقنت منه لتقول وهي جديدة العهد بالإيمان "أسلمت مع سليمان لله..." "بندية لا بخضوع، فهي لم تستسلم لسليمان عليه السلام، بل أسلمت معه... الله ما أكبرها!!

هذه دروس صنع الريادة التي علمتنا إياها بلقيس من خلال موقفها في القرآن الكريم، فهل كان من الضعف أساس الكيان الأنثوي حتى ذكرنا الله بموقفها وبتفاصيله المتلفعة برداء الكبرياء والعزة؟

**النموذج الثاني: مريم العذراء...**

**درس المسؤولية وتحملها بتبعاتها:**

﴿أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون﴾ النمل: 32، ولنسترجع متى بدأت مناهج النظم الحديثة تعتبر الشورى مطلباً ديمقراطياً للحكم الصحي، أولم يكن هذا بعد بحار من الدمار في محيط الثورة الفرنسية وما بعدها؟

- احترامها للأرواح والعرمان تحت سلطانها: حتى لا تزج في حرب لا تدري ما نهايتها، ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ النمل: 34، هل بإمكاننا أن نسرد شخصيات قيادية وضعت هذا في حساباتها الحربية؟ هل فعل هذا هتلر أو الحجاج؟

- حنكتها السياسية ودعوتها للمهادنة والتروي حتى تتعرف إلى هذا الخصم الجديد وتزن قوته ومواطن ضعفه، قالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ النمل: 35، ولا شك في أن إدراكها قوة الخصم عن قرب ما يعينها على جدولة معطياتها في المواجهة أو الاستسلام.

- ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ النمل: 42، أكثر ما أدهشني

ناحية ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ مريم: 22، وبين مدى ما وصلت إليه من معاناة قولها: ﴿ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴾ مريم: 23 [مريم: 23]، أي حمل وتحمل هذه البنت واللامعقول يزيدا ألما؟؟؟؟

- **التحدي والثبات انطلاقاً من اليقين:** ﴿ قَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ﴾ مريم: 27، أقبلت على الملاء بما تسب به وتنبد لكنها واجهتهم وهي المتيقنة مما كلفت به بعد أن تجلى لها الوضع وأشربته يقينا.

- **تحمل المسؤولية:** في التربية بما تعنيه من تكاليف معنوية ومادية وهي المرأة الوحيدة لتقوم بدور الأب والأم معا.

- **تحمل تبعات المسؤولية والصبر عليها:** وهي ترى هذه النبتة التي رعتها تقدم للصلب بغير وجه حق... وأعتقد أنها أصعب من تحمل المسؤولية لأن تبعاتها مرهقة أكثر من حيث الاستمرارية والمضاعفات.

هذه دروس في الأمومة التي تبثها قصة مريم في القرآن الكريم لا تشير

مريم العذراء من بنت أريدت ولدا إلى أم رجل غير وجه التاريخ، قدمت دروسا وهي الفتاة الضعيفة، وجدت الأمومة ترتقي في أحضانها في وضع غير مفهوم، لم يكن لها إلا أن تسلم به وترضى،،،

- **الاستعداد للمسؤولية:** قبل أن تنال شرف الأمومة لروح الله عيسى عليه السلام دخلت معسكر تدريب وتهيئة وهي التي وهبت للعبادة، حتى بلغت منها مقاما يتعجب منه زكرياء وهو نبي الله، ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ مريم: 16.

- **المحاورة وعدم التسليم قبل الاقتناع:** ﴿ قَالَتْ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ مريم: 20، تساؤل منطقي يدل على عدم تعطل عقلها وآلياته، وجرأتها على إبداء هذه الآلية لسلطة علوية، وأحرى بالمرأة أن تعمل عقلها وآلياتها أمام سلطة أدنى وعدم التسليم من دون نقاش يلغي عمل هذه النعمة.

- **القوة على تحمل المشاق:** في حالة ضعف ملفوف بالوجع النفسي من كل

وخوفها الطبيعي عليه كأم من أي أذية قد يتعرض لها في اليم وحزن على فراقه فكانت الغلبة للطمأنينة التي بثها الله فيها، فوضعت في تابوت مطلي بالقار من داخل ممهد له فيه وأغلقت وألقته في بحر النيل ليلاً... وأسلمته الله.

## - الثبات في العمل وعدم الانكسار:

عندما اعتراها ضعف إنساني من منطلق أمومتها ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَرَجًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْ أَنَّ رَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبُهَا لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ القصص: 10

## - المتابعة والتحليل قبل المبادرة:

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِيَّةٌ قُبِضَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ القصص: 11، والغريب في الأمر أن هذا العامل صار في عالم اليوم تقوم عليه كل المبادرات السياسية أو الاجتماعية بل والاقتصادية، تستند إلى المراقبة والتحليل للوصول إلى القرارات السليمة التي تخدم الموضوع المتابع.

## - المبادرة في هدوء بعد تجلي

**المعطيات:** فتوجه ابنها لتدل آل القصر على مرضعة لموسى بعد أن منع الله عنه المرضع لنفاذ وعده بعودته إلى أمه:

إلى ضعفها ولا إلى العجز منسوباً إلى أنوثتها، ولو كانت المرأة فعلاً عاجزة غير قادرة لما أولى الله لها مسؤولية تغيير التاريخ من هذا الباب الواسع.

## النموذج الثالث: أم موسى عليه

### السلام: درس مواجهة الخطر:

## - إدراك الخطر تقييمه وتحديه:

تتحدى أم موسى عليه السلام في ردة فعل فطرية أكبر قوة طاغية في عصرها "فرعون" الذي ﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُلْبِغُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ القصص: 4، مدركة قوته على عدم الرضا بقتله وليدها.

## - مواجهته بالكتمان والذكاء:

وهي المرأة الضعيفة من عوام الناس لا سلطان لها ولا نفوذ ولا مال، لا شيء سوى الأمومة تحيطها بكل تحد بما أوتيت من حيلة وبوحي من الله تعالى: ﴿وَأَرْحَمَنَا إِلَهَ أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضَعِيهِ فَإِذَا خَفِيَ عَلَيْهِ فَالْقَبْ فِي الْإِمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ القصص: 7، تزن بين خوفين خوفها عليه من الموت المحتم

وَعَمَلِهِ، وَيَجْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾  
التحرير: 11.

تؤمن بموسى عليه السلام وتحمل تبعات الإيمان وتثبت على المبدأ وهي التي أوتد فرعون يدها ورجليها وألقى على صدرها رحي عظيمة واستقبل بها الشمس فكانت إذا تفرق عنها من وكل بها ظللتها الملائكة، فتقول في حال التعذيب: "رب ابن لي عندك بيتا في الجنة"، دفعها اليقين إلى الثبات على المبدأ والموت عليه.

والملفت للانتباه في قصة موسى عليه السلام أن الله أحاط رسالته بالنساء من كل جانب: أمه التي حمته من الموت، أخته التي تتبعته ورعته عن بعد، آسية بنت مزاحم التي رعته في بيتها، وابنة شعيب التي أهدته السكن في غربته، وفي رأيي أنه سياج من العطاء لم يتوفر لأحد قبله ولا بعده صلى الله عليه وسلم... فمن هاته المرأة حتى يحف الله بها رسالته هكذا؟؟ الغائبة؟؟ أم المغيبة؟؟ أم المبادرة؟؟

#### خاتمة:

من خلال شخصيات هاته النساء

﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ يَبْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ﴾ القصص: 12.

ولعمري إنه لمنهج تخطيطي لكل تفاصيل الحياة بدأ بإدراك الخطر ومقابلته بالتحدي لا بالانهزام والهروب، ثم مواجهته بالحيلة لا بالمغالبة لأن المغالبة خسارة سابقة لأوانها عند إدراك خطورة الوضع، ثم الثبات وتجاوز المثبطات، ثم المراقبة والمتابعة والتحليل، ثم المبادرة في هدوء، وفي نهاية الحصول على المبتغى ونيل المطلوب،،، وتحقق وعد الله بعودة موسى عليه السلام إلى أمه...

**النموذج الرابع: آسية بنت مزاحم؛  
دروس الثبات على المبدأ وبذل النفس فيه؛**

امرأة كانت ترفل في أكثر القلاع رفعة وأحصنها من البطش، كيف لا وهي زوجة فرعون الفتك والفساد، تتحول بدافع أمومة مرتبة بتصرف إلهي لألد أعداء زوجها إلى مجاهدة في سبيل الحق...

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ

لندرك أن القرآن اعترف لها بالريادة والقدرة على أخذ زمام الأمور والمبادرة في ظل ما سطره لها من أطر خلافا لمزاعم من زعم ضعفها وعجزها وحاول إقناعها به، طبعاً نحن لا نتكلم عن هذه الأطر وتفصيلها الشرعية لأن الذي يهمنا الآن هو البحث في دواخلنا كنساء مسلمات من خلال القرآن الكريم على اقتناعنا بمقدرتنا وفاعليتنا ثم ننظر بعد ذلك في أطرها الشرعية، ولا يمكن معالجة موضوع الأطر الشرعية إن لم يكن لدينا يقين بأن أقدس دستور يعطينا هذه المقدرة... نحتاج فقط أن نعرف من نحن.

اللواتي أعطين التاريخ صفحات بيضاء مطرزة بخيوط الذهب ودروس الحكمة نستطيع أن نصنع شخصية للمرأة المثالية التي يطمح إلى وجودها فكر امرأة مسلمة ما تزال تؤمن بأن القرآن حررها ولم يقيدتها، فالذي يلوح لي أننا اليوم بحاجة لتلك المرأة التي تملك زمام الريادة في حكمة وكبرياء متحملة المسؤولية وتبعاتها غير متصلة منها ولا خائفة من مواجهة الخطر الذي تتدبره ثم تخطط للتغلب عليه وتثبت على مبدئها هذا أياً كانت النتيجة وتبذل في سبيله ما غلا ونفس.

وأريد من هذا الاستعراض أن أشارك وإياكم التنبؤيه القرآني بمواقفهن بترو

